قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

المكان في رواية صوت الطبول من بعيد

The Setting in the Novel The Sound of Drums from Afar

م. م آيات محمد يونس*

قسم الدراسات الاسلامية – كلية الحكمة الجامعة – بغداد، العراق

Keywords

The importance of place, Hostile place, Familiar place, Closed place, open place.

Abstract

This study examines the various settings employed by Iraqi author Falah Rahim in his novel **The Sound of Drums from far***, namely hostile, familiar, closed, and open spaces. These settings form the backdrop against which the events unfold, and what distinguishes this work is that it offers a true depiction resulting from the author's real–life experiences during the Iran–Iraq War. Thus, the settings appear clearly and explicitly, without artistic manipulation, revealing the conflict and turbulent conditions in Iraq. In his narrative structure, the novelist focused on the duality of place, depicting the hostile setting—which bears the marks of pain and frustration due to the deteriorating political conditions the country endured— and we find the opposite in the familiar setting, which is characterized by comfort and tranquility, as well as the closed, confined space in its ugliest, most repulsive form, and the open, expansive space for positive emotions. This work is divided into two parts, theoretical and practical, to explore the diverse settings in the novel.

*Assist. Lecturer: Ayat Mohammed Younis

ayat.mohamd @hiuc.edu.iq

معلومات المقال

تاريخ المقال:
الإرسال:
المراجعة:
القبول:١/٦/٢٠٢٦
الكلمات المفتاحية:
أهمية المكان، المكان المعادي، والمكان الأليف، المكان المغلق، المكان المفتوح.

ملخص

يهتم هذا البحث بالأماكن المتعددة الذي وظفها الكاتب العراقي فلاح رحيم في روايته صوت الطبول من بعيد وهي، المكان المعادي والاليف والمغلق والمفتوح . إذ يشكل هذا العنصر الأرضية التي تجري فيها الاحداث، وما يميز هذا العمل انه جاء تصويرًا حقيقيًا نتيجة تجربة واقعية عاشه الكاتب في الماضي ايام الحرب العراقية الايرانية، لذا ظهرت الامكنة بشكل واضح وصريح من دون تلاعب فني، تكشف عن الصراع والاوضاع المضطربة في العراق، ركز الروائي في البناء السردي على ثنائية المكان فذكر المعادي للشخصية الذ حمل ملامح الالم والاحباط بسبب الظروف السياسية المتردية التي مر بها البلد، ونجد العكس من ذلك في الاليف إذ يتسم بالراحة والطمأنينة، فضلاً عن المغلق الضيق بأبشع صوره المثير للاشمئزاز، والمفتوح المتسع للمشاعر الايجابية، وقد توزع هذا العمل على جانبين نظري وتطبيقي، للكشف عن الاماكن المتنوعة في الرواية .

١ . المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبين واله وصحبه المرضين .

يعد المكان احد عناصر السرد المهمة ولا يمكن ان تخلو رواية منه إذ يشكل عالم روائي، يوظفه الكاتب بما يتناسب مع الاحداث وتطورها، فضلًا عن انه يرتبط بالشخصية بعلاقة تأثير وتأثر إذ يهتم بأثر المكان في نفسية الشخصية فينتج عن ذلك مكانا مرغوبًا به او العكس تمامًا ونتعرف بوساطته على سلوك الفرد وصراعاته الداخلية، كم أن حدود تأثيره لا تقتصر على عناصر السرد بل تمتد إلى القارئ الذي يشعر بواقعية الاحداث وبأحاسيس تتنوع ببين الفرح والحزن إذ يعيش التجربة وكانه جزء من الرواية بفضل الصياغة الفنية المميزة والوصف الدقيق الذي يضفيه الروائي فهو أجاد في رسم المكان بفضل التجربة التي مر بها أذ تركت أثر واضح في اختيارهِ للاماكن، لذا جاءت أمكنة حقيقية جسدت الواقع الذي عاشه، تناولت هذه الدراسة المكان واهميته الذي شغل مساحة كبيرة فجسد بذلك انواعه المختلفة بوضوح كالمعادي والاليف والمغلق والمفتوح .

أهمية المكان:- بعض الروائيين جعل من المكان ذا معنى في الرواية؛ إذ وظفه للتعبير عن آراء الشخصيات، وبلحظ ذا فإنه لا يكون مجرد عنصر سلبي أو تابع في الأعمال الروائية، كما أن تحديده في الأعمال الروائية يعطي شعورًا للقارئ بأن الأحداث التي تجري يمكن ان تكون واقعية أو محتملًا حدوثها (لحمداني، ١٩٩١، ص ٧٠- ٦٥). وهذا ما وجدناه في رواية فلاح رحيم، كما " إن هندسة المكان تسهم أحياناً في تقريب العلاقات بين الأبطال أو خلق التباعد بينهم" (لحمداني، ١٩٩١، ص ٧٢). و يمثل " مكونًا محوريًا في بنية السرد (بوعزة،١٤٣١ ه – ٢٠١٠، ص ٩٩). فهذا العنصر " لا يتشكل الا باختراق الأبطال له، وليس

هناك بالنتيجة أي مكان محدد مسبقًا، وإنما تشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال ... وهو أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها الحدث " (بحراوي، ١٩٩٠، ص ٢٩) .

الاماكن المعادية:-

تعد بأنها من الاماكن التي " يرغم الإنسان على العيش فيه، كالسجون والمنافي أو يشكل خطرًا على حياته كساحات الوغى، فلا يشعر في هذه الأماكن بالألفة والطمأنينة والراحة، بل يشعر نحوها بالعداء والكراهية" (الخفاجي، ٢٠١٢ م – ١٤٣٣ هـ، ص ٤٢٦). تتسم هذه الامكنة بالضيق من كل جانب، مما يؤثر سلبًا على نفسية الشخصية كونها تقيد حركتها وتحرمها من الحرية، فيعاني الفرد فيها من الاغتراب والخوف من المجهول (العامري، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ص٤٧) .

في المشهد السردي الآتي يصف فلاح الاماكن المعادية للقارئ ويكشف عن طبيعتها وأثارها النفسية على الشخصية "**عندما علم فوزي قراره البحث عن شركة أجنبية خارج بغداد فتح الأطلس المدرسي الملون المخصص لخرائط العراق ... قال اختر ما يحلو لك من محافظات ! كان لكل محافظة لون فاقع ... طاف نظر سليم بين هذه الألوان المتنافر . لم تكن المناطق الكردية ضمن الاحتمالات المقبولة ... لقد خرج الكرد من عقد السبعينات بجراح بليغة، بين تضاعيف علاقتهم مع حكامهم فتيلٌ ينتظر أي صاعق ليطيح بكل ما يبدو من قبول وانصياع . العيش في محافظة كردية يعني حضورًا في ساحة قتال مؤجل يشتد فيها التدقيق والتحسب . حين ينزل النظر إلى الوسط والجنوب يصده انغلاق السبل . منذ تصاعد الثورة الإيرانية وهذه المناطق مصدر قلق وريبة لحكام العراق** "(رحيم،٢٠٢٠، ص ٣٨) .

في هذا النص السابق ينقل الكاتب لنا طبيعة الحكم في بلده ويصور الاماكن المعادية لسليم تصويرًا واضحًا بطريقة مباشرة، فجاءت تحمل دلالة الكره والنفور لديه، فضلًا عن انها فرضت عليه عدت قيود تحد من تحركه، فبوساطة رحلة البحث عن عمل له يبدأ باستعراض محافظات العراق لاختيار المكان الانسب، لكنه توصل إلى ان المناطق الكردية والوسط والجنوب من الاماكن التي لا يشعر نحوها بالأمان إذ تركت انطباعًا سلبيًا لديه ؛ بسبب السياسية السيئة التي تمر بها كل تلك المحافظات، فجعل الروائي من المكان وسيلة للتعبير عن مخاوف الشخصية وهواجسها، لذا جاء هذا العنصر ذو سلطة عدوانية فرضت على الشخصية التزامات حرمتها من أبسط اشكال الحرية .

وتعد الرمادي من الاماكن المعادية للشخصية " **سكن سليم في روتين عمله الجديد وخصصت له غرفة مؤثثة في الطابق العلوي من بناية المكتب نفسه وقف خلف نافذة غرفته المطلة على فسيح ينتهي إلى حي آخر . تفحص هذا الفضاء فوجده مشغولًا بشواهد الموتى الخفيضة المتواضعة تتناثر في ما بدا أنه مقبرة المدينة ... كان يطل على الموت في غمرة انشغاله بالبدايات ... ما حوله اغتراب وموت، إنه في مكان لم تطأه قدماه من قبل ولا يعرف فيه أحدًا ... أفقه المقبرة ومرآته نافذة تطل على مجهول دون دلالة ... لم يصدق منذ وصوله الأنبار أن حاله هذه يمكن ان تستمر طويلًا** "(رحيم، ص ٤٤ – ٤٥) .

في التيار السردي هنا نجد الكاتب يتحدث عن التفصيلات المحيطة بالمكان، وعلى الرغم من ان سليم ترك المعسكر في ام قصر بقي الموت يلاحقه فحتى

غرفته الخاصة كانت تطل على مقبرة يبدو ان الموت هو صفة لصيقة للشخصية و قدره المكتوب الذي ضل يلاحقه كظله، إذ كان يشعر في مكان عمله الجديد بالرمادي بالانغلاق التام عن كل مظاهر الحياة فضلًا عن العزلة والكآبة كونه غريب عن الناس، لذا جاءت ايامه جامدة لا تنبض بالحركة والحرية وقد أكد على ما يشعر به في موضع أخر " **أية حياة هذه في مدينة بعيدة لا يعرف بها أحدًا ؟ حياة في مكتب يمنع عنه كل إحساس بالخصوصية ويعيده إلى قاعة الفصيل الثاني تحت الصفيح** " (رحيم، ص ١٠٣) . صور الكاتب الحالة النفسية السيئة لسليم المتمثلة بالسأم والملل، لكون حياته العملية في الوقت الحالي كانت تذكره بأسوأ ايامه عندما كان جندي في الجيش، فالمكان أثر سلبًا عليه وانعكس ذلك على نفسيته مما جعله يشعر بالعجز وعدم القدرة على التفاعل فضلًا عن احساسه بالوحشية، فصورها الروائي على انها من الاماكن المهجورة القبيحة، وتكراره لمدينة الرمادي مرتين تأكيده على الكراهية والنفور .

عندما اخذ سليم اجازة من عمله في الشركة وذهب للمنزل احس بشعور مغاير على الرغم من استقبال اهله الحميم له " **لم يمنع كل هذا الاحتفاء ... سليم من الشعور بأنه لم يكن في البيت ذاته الذي غادره قبل عامين . قالت له أمه إن غرفة الاستقبال قد أعدت لإقامته خلال الزيارة ... ذكره هذا الإجراء بأن غرفته في الطابق الأعلى قد صارت من حصة كريم بعد الزواج ... أدرك أن للبيت نفسه خارطة تتفاوت عليها ألوان الألفة والانتماء، ليست الغرفة الخاصة كغرفة الاستقبال . ستبقى الأخيرة ركنًا موحشًا من البيت يحول كل من يقيم فيه إلى ضيف مؤقت ... ما يكفي ليساور المرء الملل من المكان** " (رحيم ص ٦٥ – ٦٦) .

هو بالبيت ذاته الذي ترعرع فيه بيد انه احس بالضيق والوحشة كونه لم يعد الى غرفته الخاصة بعد ان اضطر للسكن في الاستقبال، فقد راوده شعور بان خصوصيته استباحت وعد نفسه ضيف في الدار و ليس من أفرادهم المستقرين، فمشاعر الحب والحنان التي أظهرتها العائلة لم تكن كافية لسد النقص عند الشخصية، فتحول المكان الذي يفترض إن يكون مصدر للأمان إلى معادٍ وغير مرغوب فيه، فقد غير الصورة النمطية الدالة على الحب والامان إلى غربة ذاتية عاشها داخل اهله ولم يشعر به احد .

عرض على سليم ان ينظم إلى جهاز المخابرات لكنه كان يشعر بالقلق من اتخاذ القرار الصحيح " **من رفض اللعبة كلها هاجر وعاش في بلدان اللجوء نقيًا متصالحًا مع نفسه كثيرون يرون منفاهم بطولة، أما من قرر البقاء داخل العراق أو أجبر عليه فلا مناص أمامه من أن يتلوث بالمهانة أو الشقاء** " (رحيم، ص٨٣ – ٨٤) .

يتضح بوساطة النص ان الاحداث التي يمر بها العراق خلقت منه مكان معادٍ لسليم يصعب لعيش فيه والتآلف معه، فجات ردة فعله طبيعية وواضحة نتيجة انعدام الامن، إذ منحه الكاتب قيمة سلبية فامتزج هذا العنصر بالقلق والضيق الذي تشعر به الشخصية، لان بقائها مشروط بالعمل الاجباري لصالح الدولة، لذلك يرى الهجرة للخارج فيها الامن الذي تفتقده داخل البلد، وهذا ما اكده في النص الآتي عندما التحق بالخدمة العسكرية الإلزامية في معسكر المحاويل

يشرح سليم هيئة المكان الذي يقيم فيه مع رفاقه في جبهه ديزفول الايرانية " **أول ما تبادر إلى أذهاننا ونحن ننظر إلى المواضع التي تركتها البطرية الثالثة سؤال جزع: كيف سنعيش في مثل هذه القبور ؟ إنها ضيقة مظلمة منحوتة في جدار التل كأنها مسارب سرّية مجهولة لا تقدم للقوارض التي تسكنها شيئًا سوى الأمان . تداولنا مطولًا في الليلة الأولى عن المكان الأمثل لمنامنا، أيكون داخل المواضع الخانقة لنتقي القصف والشظايا أم في الهواء الطلق مكشوفين لتهديدها ؟ وصيّة جنود البطرية الثالثة لا لبس فيها، أن نتجنب النوم في الخارج، قُتل اثنان وجُرح ثالث منهم بسبب الرغبة في الهواء الطلق ! لكن الحر والبعوض والحاجة إلى نومة مريحة أجبرنا على اختيار هواء الخارج بالرغم من كل مخاطره ... بقينا نقفز دون وعي من أعمق أغوار النوم إلى حفر المواضع ما أن يبدأ القصف** "(رحيم، ص ١٧٠ – ١٧١) .

فالخوف من الأماكن المغلقة لا يعتمد على ضيق المكان فحسب، بل قد يشعر الإنسان بأنه محبوس في الخارج (الحلاق، أوستل و فيلد، ٢٠١٤، ص ١٨) . إذ حمل هذا المشهد سمة الاضطهاد لجنود قد انحرموا من أبسط متطلبات الحياة وهو الهواء الطلق والنوم، فجاء المكان ضيق ومعادٍ في آن واحد شبيه بالقبور لا يحمل اي سمة ايجابية سواء انه يوفر الحماية التي تعد العنصر الوحيد الذي يحتاجه جندي الحرب، على العكس من ذلك نجد المكان في الخارج يحتوي على كل شيء الذي يحتاجها الفرد ما عدا الأمان، فهو بذلك يعقد مقارنة بين الداخل جحر الفأر الأمن والخارج الواسع المميت .

للكاتب القدرة على تغير المكان من نمط إلى اخر وهذا ما وظفه في النص الآتي " **طولي لا يناسب المكان، لذلك فأنا أنام على وتر المستطيل لا بموازاة طوله . أما عندما ينحشر معي أحد في المواضع فإنني أضطر إلى ثني ركبتي طوال الوقت أثناء المنام أو أدفعهما نحو الحائط فإذا استيقظت شعرت بألم مزعج فيهما ... المكان حولي خانق، يضيق بنفسه وبنا وتبدو فكرة العيش فيه مرعبة ومنفرة بالفعل للوهلة الأولى . غير أن لمرور الوقت أثرًا سحريًا كما يبدو . بدأنا نتعود لمكان بالرغم من غرابته وضيقه . بل اكتشفنا فيه بعض المزايا . الظل الدائم فيه ليل نهار يجعله معتدل الحرارة قياسًا بالخارج الملتهب ضهرًا فإذا استعملت قطعة كارتون لتحريك الهواء صار الهواء باردًا والنوم ممكنًا تمامًا** " (رحيم، ص ١٧٢) .

يحمل المشهد أثر دلالي عميق المستوى، إذ جاء في بدء الامر ضيق خانق ومثيرًا للاشمئزاز لدرجة ان سليم تأذى من شدة ضيقه، وكان مصدر للقلق وعدم الاستقرار، الا ان الوقت كفيل بتغير الكثير من الامور، اذ لم يجعل الشخصية فقط تعتاد على المكان بل اظهر ايضًا ميزاته منها اعتدل الحرارة ووجود الظل بالصيف، فالمكان هو ذاته إلا إن الظروف التي مر فيها غيرت منه فتحول على أثر ذلك الموضع من معادٍ إلى اليف .

تعرض موضع الآمر للحضرية التي ينتمي اليها سليم لقصف شديد من القوات الايرانية " **الموضع لا يكفل حماية كافية وقد هدّته الانفجارات المتتالية حتى يكاد يتداعى من هبة هواء . هرعنا دون مزيد من التعليقات إلى الموضع ... كان الموضع قد تهدم وصار ركامًا من أكياس الرمل والحجارة المكومة فوق سقفه حتى اختفت أية فتحة يمكن أن تعد مدخلًا إليه** " (رحيم، ص ٢٨٧) .

وضح هنا الكاتب الخراب الذي تعرض له المكان بعد توالي القصف عليه، فقدم لنا رؤية بصرية قائمة على الوصف المرئي لذا اتسم بالعداوة نتيجة تأثر المكان بالأوضاع السياسية السيئة، وعكس بذلك الجانب القاسي والسلبي للمكان، وقد اختفى حتى مدخل الموضع واصبح غير آمن للجنود إذ كانت الغاية منه ان يوفر الحماية للعسكرين، لكنه تجرد من هذه الغاية، مما اضطرهم إلى ترك المكان وتغيره للحفاظ على ارواحهم .

يصف المشهد السردي الآتي تأثير الحرب على شوارع بغداد " **انعطف إلى شارعه الأخير حيث منتهى رحلة العودة العجيبة . قطعة قماش سوداء أخرى تجثم على حائط في ركن الشارع . هذه القطعة السوداء المتناثرة على بهرج ببغداد تنعى الشهداء والمفقودين هي التفنيد الأكيد لدعاوى أن الحرب نزهة تخرج من قلب المدن الآمنة وتعود إليها وقد هزها طرب المغامرة دون خسائر** " (رحيم، ص ٣٠٧) يعبر الكاتب بدقة عن بغداد إذ جاءت فضاء مفتوح تحمل بذلك القدر المأساوي لأهلها فضلًا عن ذكريات حزينة مثيرًا للاسى، وهي بذلك لا تعبر عن حقيقتها بل عما تشعر به الشخصية تجاها، وعلى الرغم من كونها رمزًا للجمال والتميز، الا إن هناك ما يشوه بهرجها، وهي قطع القماش السوداء التي تكتب عليها اسماء شهداء الحرب فتوضع على جدرانها فتترك أثر واضح ينعكس على ملامحها، وكأن هذا السواد ينتزع البهجة من المدن ليحل محله الحزن .

في رحلة بحثه عن وظيفة يسرد سليم الشركات التي قام بزيارتها " **تخبط سليم بين مكاتب الشركات الأجنبية في ساحة الأندلس والعلوية . مكاتب في كل منعطف ودرب تهدر على حيطانها أجهزة التكيف الحديثة (لا أثر لمبردة الحلفاء العراقية هنا) وتنم شبابيكها المظللة عن ترف وتعالٍ ... لم يكن سهلًا العثور على مكاتب أوربا الشرقية حيث التهاون المتوقع في شروط التوظيف دخل مكاتب لشركات يوغسلافية وهنغارية وبلغارية، لا حاجة بهم إلى مترجم . سأل نفسه وقد اشتد عليه الحر وأمضه العطش ألا يشبه هذا التخبط زيارته لدائرة السفر والإقامة للحصول على جواز سفر ؟ أليست هجرة بديلة، داخل الوطن ؛ بماذا يختلف في ما يسعى إليه عن رفاقه الذين فروا إلى الخارج ؟** " (رحيم، ٢٠٢٠، ص٣٩ – ٤٠) .

يصف النص عدائية المكان بوصفه مصدرًا للألم والتهديد، و يعبر خيرَ تعبير عن مشاعر الشخص تجاه البلد المتمثلة بالخيبة والضياع، إذ أثارت هذه الأماكن التي زارها في نفسه صراعًا من الافكار و جسدت علاقة سليم بالمكان، فأشعلت في داخله شعور الأرق والاضطهاد فضلًا

عن الاغتراب الذي عانى منه على الرغم من أنّه يسكن في وطنه لكنّه لا يشعر بالأمن بل عدَّهُ طاردًا له بسبب التهميش الذي مر به، ونلحظ ذلك بوساطة المقارنة التي عقدت بينه وبين رفاقه الذين هربوا للخارج .

في مكتبه الذي يعمل به هاج بداخله ذكرى تؤلمه " **حشد من المراجعين تسحبهم قوة مستمدة من الحر وملل الانتظار إلى التزاحم على شباك نصف مفتوح يقبع خلفه برد المكتب وظلمته وأشباح العاملين فيه يتحركون دون همة . ذكره هذا الشباك بوقفته قبل أسابيع أمام شباك مماثل في بغداد لم يجرؤ على الاقتراب منه . ظل الوصول إلى الشباك عسيرًا هنا أيضًا فالتزاحم لا يخضع لطابور أو أسبقية ولا بد من معرفة مسبقة مع العاملين لاختصار الساعات** " (رحيم،٢٠٢٠، ص ٤- ٥٠) . خلق الكاتب الامكنة هنا، وجعل القارئ يشترك فيها بوساطة التفاعل معها، فاصبح المكان المزدحم خانقًا وضيقًا وباعثًا على عدم الارتياح في الوقت عينه، إذ أثارت هذه الصورة المرئية، شعور مشابه مر به سليم في الماضي وارتبط في مخيلته مشاعر الحزن والأسى والأشمئزاز، فلم يكن منظر الشباك عاديًا بالنسبة له بل أظهر الفشل السياسي و فقدان السيطرة على النظام، فشكّل هذا المشهد جزءًا من ذاكرته التي لا يستطيع أن ينسها .

يصف كريم منزل جارهم سبتي عندما ذهبت والدته لزيارتهم " **بيتهم ضيِّق بائس . زارته أمي ذات مرة لتودع أمَّه المريضة وعادت تشكو من الاختناق بين جدرانه** " (رحيم،٢٠٢٠، ص٦٣).

يظهر هذا النص الوصف الذي أضافه الكاتب ليشكل عنصر جذب للمتلقي، **إذ** يُعدُّ البيتُ الحضن الدافئ الأوّل للإنسان ويحوي على ماضيه وحاضره ومستقبله، ولكن منزل سبتي لا ينماز بهذه الصفات بالمطلق بل يخضع لظرف الفرد وحالته، إذ جاء على غير العادة ليس مصدرًا للراحة والأمان والملاذ بل مظلمًا وباعثًا على الاختناق والأسى، فضلًا عن القلق والخوف، إذ حمل صفة العدائية بطريقة صريحة فأثر ذلك على نمط المكان الذي يسكنون فيه .

تصف بيانكا العراق عند زيارتها الاولى " **هذا البلد لا يختلف كثيرًا عن بولندا في مجال الرقابة المركزية الصارمة التي تمد مجساتها المسمومة إلى كل زاوية وثنية** " (رحيم،٢٠٢٠، ص٨٥) .

لم يأتي المكان عنصرًا زائدًا في الرواية بل عكس الواقع الاجتماعي للإنسان بشكلٍ واضح، إذ عبَّر الراوي بلسان الشخصية عن الوطن الذي يضيق بالناس ويتسع بالأوجاع والألم فصوَّر بذلك الضيق والعداء للبلد في آن واحد، فعانى كلا البلدين بولندا والعراق من ضغوط الحياة والقهر السياسي الذي يخنق الفرد، فحمل بذلك دلالة العبودية والسيطرة وعلى أثر ذلك يفقد المرء حقَّه في الاستمتاع بالحياة .

يعرض الكاتب حلمًا رأته بيانكا في منامها تتحدث فيه " **رأت نفسها في كرنفال صاخب في ميدان المدينة القديمة في وارشو وسط صخب الناس والسيارات التي تجرها الخيل ... معها أربع من أقرب صديقاتها بثياب تناكد من يراها بما تفضح من مفاتن وبألوانها الفاقعة المتنافرة، ضاحكات مشاغبات ... انعطفن من الميدان الصاخب إلى درب ضيق مرصوف بحجر الكوبلت في الجوار كان خاليًا مظلمًا موحشًا حتى إنّ واحدة منهن ترددت من المضي بعيدًا ودعتهن**

إلى العودة من حيث أتين . لكن بيانكا هتفت: لن يكون كرنفالًا إن عدنا بدواعي الحذر والتحرز . مضين أبعد في ظلام الدرب الضيق فلاح في نهايته شبحٌ " (رحيم،٢٠٢٠،ص ٩٧-٩٨).

وظف الكاتب مدينة وارشو بوساطة الحلم لترمز للانفتاح في المكان الذي ترك أثرًا واضحًا في انفتاح النفس وبهجة الروح ولكنَّ هذا الشعور تحول إلى النقيض بوساطة عاطفة زمنية مؤقته فتحول المكان من الفسيح المريح إلى الضيق الخانق، فأثار هذا العنصر التشويق والمتعة في نفس المتلقي بوساطة الضدية الناشئة في النص ذاته التي بثت مشاعر الآلفة والنفور معًا .

في جبهة ديزفول أرض المعركة يصف سليم شعوره تجاه هذا المكان " **هيمن عليّ شعور مقرف بالفراغ والجزع وبدأت أدرك أنَّ بقاءنا في هذا المكان اللعين سيعني نهايتنا جميعًا لا محالة** " (رحيم،٢٠٢٠،ص ٢٩٥) .

يبث هذا النص الكره والنفور ويكشف عن الخراب النفسي لسليم فإحساسه بالخوف الممزوج بالضياع والقرف ناتج عن مؤثرات خارجية سببها هجمات العدو المستمر للموضع، فضلًا عن التحديات والصراعات التي يعاني منها الجندي في ساحة الحرب وأهمها البقاء على قيد الحياة، كما إنّ الوصف الذي اضفته الشخصية على المكان هو الذي حدد طبيعة العلاقة بينهما فاجتماع الموت والدمار والخطر أسهمت في خلق جو نفسيٍّ قاسي جعلت منه معاديًا .

الاماكن الاليفة:-

يقصد به "هو ذلك المكان الذي يأتلف معه الإنسان ويترك في نفسه اثرًا لا يمحى ...، وأي مكان نشأ فيه وترعرع وأصبح من مقوماته الفكرية والانفعالية والعاطفية" (الخفاجي، ص ٤٢٦) . وتعمل هذه الاماكن على خلق نوع من الانسجام بينها وبين ساكنيها الغرض منها تحقيق الطمأنينة . (السعدون،٢٠١٠، ص ١٢) . لذا سكنها الناس لأنهم يرغبون العيش فيها،كونها من الاماكن الجاذبة والايجابية الباعثة على الشعور بالراحة والالفة (بو عزة، ص ١٠١ – ١٠٥) .

ولذا فإن المكان الأليف بحسب باشلار (Bachelard) "هو مكان العيشة المقترنة بالدفء والشعور بأن ثمة حماية لهذا المكان من الخارج المعادي وتهديداته، ويمنح هذا المكان الفسحة للحلم والتذكر" .(الجنداري، ٢٠١٣. ص٢٨١) .

يعد بيت بيانكا من الاماكن الاليفة عند سليم فهو بمثابة الامان والملجأ الوحيد له من كل ازمات الحياة " **وجد نفسه فجأة في مكان ساحر . هنالك مصباح مظلل بغطاء حليبي على طاولة صغيرة في الركن يبعث نورًا لا تعرف الحدود الفاصلة بينه وبين العتمة . وكانت الصالة تنتعش بهواء المكيف البارد يتدفق دون ضجيج من جهاز أسفل النافذة الواسعة المطلة على حديقة الدار** " (رحيم، ص ٢٤٥) .

جسد الكاتب بوساطة هذا الوصف مشاعر الشخصية تجاه الدار، لذا جاء الوصف منسوجًا بعناية وانعكست الحالة النفسية لسليم على المكان، فهو يعيش في صراع مستمر مع الموت لأنه جندي في ساحة الحرب، فلم يرى غير الجثث والخنادق الضيقة، لذا يعتبر هذا المنزل جنته على الارض كونه تسكن فيه عشيقته لذا جاء باعث على الراحة ليس فيه اي نوع من الاجبار أو الكراهية ويذهب إليه بإرادته دون قيد أو شرط فمشاعر الشخصية تنعكس على المكان وتؤثر بشدة عليه وهي كفيلة بجعله مرغوبًا به، فطبيعة العلاقة التي تربط

الانسان بالمكان الذي يسكنه هي التي تحدد سمات المكان، لذا جاء ساحرًا واليفًا في عين سليم .

مرقد الامام علي ذهب اليه سليم مع عائلته وجيرانه " **اهتزت القلوب وتطلعت العيون إلى القبة الذهبية في ضوء الضحى تعكس بهجة الصباح وروعته التي غفل عنها الزوار ... وقف الحشد أمام بوابة يقرأ الدعاء المنقوش على عمود جانبي ... هنالك على شبابيك الضريح مرضى الصرع والشلل ... والموجعين حد الانكسار واليأس مشدودين إليها يطلبون المُراد في حضرة الإمام ... لكن المرقد لم يخل من أفراح واحتفالات صغيرة أيضًا هنالك العرائس الجدد لاتزال أقدامهن تحمل حنة العرس يطفن مع أزواجهن ويرمين النذور** " (رحيم، ص ٣٢٤ – ٣٢٥) .

يصور الكاتب المرقد بآلية وصفية إذ جاء منفتحًا يتناسب مع حالة الشخصية، و حاملاً البعد الجمالي كونه من الاماكن الدينية المخصصة للعبادة ومتنفسًا لراحة الناس والباعثة على الشعور بالطمأنينة والأمان، فهو بمثابة الملجأ الوحيد من كل دوامات الحياة وبشاعتها، كما ادخل هذا العنصر في حالة تأثير وتأثر بينه وبين الشخصيات الاخرى، إذ يشعر الفرد فيها بالتحرر من كل القيود، ويذهب إليه جميع الناس بغض النظر عن غايتهم فمنهم من يطلب الحل لمشكلته والتفريج عن همومه ومنهم من يزوره لنشر السعادة ومشاركة افراحهم .

" **كان لتلك الزيارات المختلسة إلى البيت في البياع طعم غريب في فم سليم ... بدأ يدرك ... أن كل متعة في عراق الحرب ستكون مختلسة آثمة ، خارجة على القانون** " (رحيم، ص ١٥٣) .

من هذا النص السابق يمكن استجلاء أن الكاتب اختار هذا البيت أنيسًا ورفيقًا لغرض الاسترخاء من فوضى الحرب إذ وجد فيه راحته، فحمل بذلك ملامح السكينة والطمأنينة فعلى الرغم من الخراب والخوف والمعاناة التي تحاصر سليم وجد ملاذ له بالبياع، إذ كان يفر من الجيش ليلًا من اجل الاستراحة والنوم ويعود في الصباح، واعتبر هذه المتعة في بلده جريمة يعاقب عليه القانون، كونه اعتاد على الحروب والدمار والشقاء وصعوبة الحياة وقسوة ظروفها مذ كان عسكري، فلم يذق طعم الراحة والهناء، فكان يبحث عن النجاة من واقعه القاسي والأليم المرتبط ببلده .

يصف الراوي المحلات الموجودة في الشارع التي رآها سليم عند نزوله من معسكر أُم قصر إلى بغداد " **رأى كشكًا صغيرًا في زاوية الشارع يبيع الصّحف . كان مغلقًا تبدو واجهته وهي تخلو من ثرثرة الصحف اشبه بواجهة منزلٍ ريفيٍّ وادع يستقبل الضوء الأول ... لمح في أحد أزقة شارع الرشيد فرنَ صمونٍ يبث ضوءًا يستبق الفجر . هنالك أمام كهف الفرن المشتعل عمّال يتحركون بما يشبه الوثب وسط أصوات ارتطام الحاويات الخشبية على كونكريت الدكة الوسطى، وشهقة الذراع الخشبي بين يدي صاحب الفرن ينسل إلى نيران الفرن ليعود محملًا بقطع محمصة ملتهبة يعلوها البخار . وقف سليم يتأمل الحركة تلك الحركة الدؤوبة باهتمام لم يعرف له سببًا واضحًا . لم يكن جائعًا ولكنّه لم يكن متعجلًا بلوغ غايته في ساعةٍ مبكرة كهذه . كان متشوقًا إلى هذه الأصوات الحميمية** " (رحيم، ٢٠٢٠، ص ١٤) .

الاحاسيس التي شعرت بها الشخصية منسجمة مع الامكنة التي تنتمي إليها وتتركز على الحميمية والهدوء وكشفت عن الجذور العاطفية لسليم، خاصَّة بعد فترة طويلة من الغياب كونه عسكريًّا في البصرة، فبعد استقرار حالته النفسية بدأ يرى بعينٍ ملؤها الاشتياق لكل تلك الأماكن البسيطة التي اعتاد زيارتها، والتي تشكل جزءًا جميلًا من ذاكرته، ونلحظ ذلك في قوله " متشوقًا إلى هذه الاصوات الحميمية " إذ خلّفت أثرًا طيبًا في نفسه ارتبط بالحنين للماضي، فساهمت كل تلك المشاعر على خلق جوٍ من الأُلفة بين المكان وساكنيه .

كان سليم يمر بظرف صعب إذ كان يشعر أنّه مكسور الجناح، الأمر الذي أدّى به للبحث عن حلول للتخلص من هذه الحالة، وهو العودة إلى الأيام الماضية للتخفيف من حدة مأساته " **وكما في اللقاءات السالفة اجتمعا في بار كناري في شارع السعدون . الحر الخانق في الخارج بينما برودة البار وبيرته المنعشة والطرافة في هذه اللحظة ملاذات آمنة نموذجية** " (رحيم،٢٠٢٠، ص٢٤) .

يعطي المكان المفتوح احساسًا بالانفتاح والحرية بينما نجد المكان المغلق خانقًا ويثير الاشمئزاز والاختناق، لكن وجدتُ الكاتب هنا قد جعل من الداخل المغلق مكانًا للترويح عن النفس، فجاء ملاذًا آمنًا اثار في نفسه الطمأنينة من كل ما هو خارج حار وخانق له، فمزاج الشخصية ينعكس على المكان الذي بدوره يُحدد نوعية المكان وقيمته .

يسرد سليم كيف يقضي يومه بوساطة مقارنة يعقدها بين موضعه والموضع الثاني " **يبدأ يومنا بأن أذهب مع عريف هاشم إلى الموضع الثاني لتناول الفطور، وهو موضع مجاور كبير نسبيًا مشكلته الوحيدة بالمقارنة مع موضعنا الدائم أنّه يستقبل الكثير من الشظايا يوميًا لقربه من مصدر القصف أي إنَّ سعته هي عيبه . نعود بعد تناول الفطور إلى موضعنا الضيِّق الآمن، ينام كل منا في غاره المنحوت يسمع الراديو يلهث خلف خياله الجوال في المدن الآهلة** " (رحيم،٢٠٢٠،ص ١٧٣) . جاء تصوير الكاتب بشكل واضح للموضع إذ شكَّل ضيق المكان ملاذًا آمنًا للجنود فضلًا عن بعده من مصدر القصف، فعلى الرغم من صغر المساحة وضيقها الا أنّها لم تشكل عنصرًا للمعاناة بل وفَّرت الحماية اللازمة من القصف، إما الموضع الثاني على الرغم من سعته لكنّه شكَّل خطرًا كبيرًا على أراوحهم جميعًا، ففي فترة الحرب يكون الضيق مريحًا على عكس الخطر الموجود بالخارج، فالكفة ترجح لصالح المكان الضيق الذي يوفر الستر والهدوء من العالم الخارجي العنيف والمدمر لا للذي يعرف بمساحة أكبر، فكانت هذه الوسيلة الوحيدة للبقاء على قيد الحياة في وسط واقع مميت قاسي ومخيف .

يوضح الراوي المفارقة في حياة سليم بين مكان العيش في الموضع وبيته " **فتح سليم عينيه على عالم جديد . فوقه سقف حليبي شاهق، وفي أطرافه برد منعش، وتحته فراش وثير وسرير يعلو عن الأرض ! عالم غريب غرابة الموضع الخانق وحشية الاسفنج الخفيفة ينقلها بين الموضع والهواء الطلق مجازفًا بحياته . عالمان غريبان يستنكر أحدهما الآخر ويقاطعه، وهو بينهما لا ينتمي إلى أي منهما، لا ينتمي إلا إلى**

جسده الضائع بينهما. استوى جالسًا على السرير وتطلع في أرجاء الغرفة الصامتة إلا من هدير المبردة " (رحيم،٢٠٢٠،ص ٢١٣) .

حمل النَّصُ شعورين مختلفين للشخص ذاته، فالتجربة هي التي تحدد نوعية المكان وأبعاده، فيعترف بأنَّه غريب عن كلا الموضعين ولا ينتمي إلى أي منهما، فالظروف التي مرَّ بها شتت تفكيره وأثرت به سلبًا على نفسيته، فعلى الرغم من أنَّ الغرفة جاءت باعثة على السلام حاملة صفة الدفء لسليم كما شكلت مصدر أمان وطمأنينة وحيزًا للراحة والنوم والاحلام بعد تعب طويل، إلا أنّه يشعر أنّه غريب عن نفسه، ونجد الاختلاف في الموضع الذي عانى منه بشكلٍ كبير طوال فترة الحرب، فالوحشية التي حملها الموضع جعل منه معاديًا للشخصية، نلحظ في النهاية أنّه شعر بالاغتراب وهو شعور داخليٌّ نفسيٌّ يصف بأنّه يعيش حياة لا رغبة له فيها ولا تحدد قيمته وهويته الحقيقية .

الاماكن المغلقة:-

هو المكان الذي " يمثل الانسداد والانغلاق، كما أنه يتصف بالتحديد " (مدقن،٢٠٠٥، ص ١٤١) . وقد "حددت مساحته ومكوناته، كغرف البيوت، فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية، أو كأسيجة السجون، فهو المكان الإجباري المؤقت، وقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان، وقد تكون أيضًا مصدرًا للخوف. والمكان المغلق هو مكان للعيش والسكن الذي يؤوي الإنسان، ويبقى فيه مدة طويلة من الزمن سواء بإرادته أم بإرادة الآخرين؛ ولذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية والجغرافية، ويبرز الصراع الدائم القائم بين المكان كعنصر فني وبين الإنسان الساكن فيه. ولا يتوقف هذا الصراع إلا إذا بدأ التآلف يتضح أو يتحقق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه" (حسين، ٢٠٠٣ م، ص ١٦٣).

يصور الروائي حياة الآمر صبحي كيف يقضي يومه في موضعه " **أما بقية يومه فيقضيه في قفصه الحديد مع الهواء المحتبس الفاسد والفئران الماكرة الناشطة ... أثر هذه لعزلة الخانقة واضح على وجه الآمر . كيف لا وهو يصر على النوم داخل الموضع ليلًا مؤثرًا السلامة على التهوية الجيدة . وجهه مصفر شاحب مختنق العينين، لا تخطئ العين ما يكتنفه من تعب وقلق وحسرة ... أن السجناء أفضل حالًا منه بكثير إذ هم يعرّضون لضوء الشمس يوميًا ويستنشقون هواءٌ حرًا . يا لها من حياة غريبة وضيقة** "(رحيم، ص ١٨٨ – ١٨٩) . " فاختيار المكان وتهيئته يمثلان جزءًا من بناء الشخصية البشرية " (الضبع، ٢٠١٨، ص ٤٦).

وصف الكاتب تأثير المكان على الشخصية، فصوره على انه عنصر للعزلة والكآبة خالي من الحياة والراحة، إذ اجبرت الظروف الآمر على المكوث داخل هذا المكان الضيق من اجل ان يحمي نفسه ويتمكن من مواصلة العيش وكان اشببه بالإقامة الداخلية الاجبارية، وقد اثر هذا الامر سلبًا على صحته وقد بدأ واضحًا على شكله، فالبقاء على قيد الحياة في المعارك ليس سهلًا، حتى ان الكاتب في نهاية المطاف رجح حياة السجين على تلك الحياة، فالآلام التي تعيشها الشخصية تزيد من أحساس القارئ بالمكان .

يوظف الكاتب في النص الآتي تقنية الحلم من أجل نقل صورة دقيقة عن بشاعة الحرب وفظاعتها، إذ يتحدث سليم عن كابوس ازعج منامه " **رأى نفسه في نفق خفيض تحت الأرض يمتد في طرفيه إلى اللانهاية ويضطر بسبب انخفاضه طوال الوقت، حتى وهو يأكل طعامه . يأكل بنهم ثم يكتشف أن تقوس جلسته الملتصقة بالأرض بسبب أطباق سقف النفق عليه يمنع الطعام من النزول إلى معدته** " (رحيم، ص ٣٦٢) .

يتصف هذا المكان بضيق الحركة والانغلاق وتقييد الحرية، باعثًا على الاشمئزاز والازدراء فضلاً عن انه أثار في سليم ذكريات سيئة من الماضي، كونه جندي ينتمي إلى صفوف الجيش العراقي، فكل ما عاشه في حياته الواقعية من ضيق وتعب وضغوطات نفسية وصراعات فكرية في الخنادق انعكست كل تلك الاوجاع على منامه وازعجه ذلك، فمرارة الايام وصعوبتها تلاحقه حتى في احلامه فأتسم المكان بأنه معادٍ ومغلق في الوقت عينه للشخصية لما حمله من معاناة كبيرة .

يتحدث سليم عن موضع الرائد صبحي " **غادر بصمت يتمشى على مهل إلى حجر مقيت هو الضمانة الوحيدة لبقائه على قيد الحياة** " (رحيم،٢٠٢٠،ص ٢١٧) . يصور هذا المشهد العدائية والانغلاق الذي يتصف بها المكان وعلى الرغم من أنّه ليس مكاناً للإقامة الدائمة بل فترة زمنية معينة لحين انتهاء المعركة، لكنَّه في الوقت عينه أثر سلبًا على الشخصية وبرز معاناتها النفسية إذ حمل معاني الاختناق والحزن والكبت فضلًا عن الاضطهاد والعزلة، وكشف عن الصراع والعجز القائم نتيجة عدم التأقلم معه، لكنّه في نهاية المطاف لا حيلة للعيش دونه، لذا يلجأ إليه هروبًا من هذا الوضع المأساوي القاتل .

في حوار دار بين سليم وبيانكا حملت القبور المغلقة صفة الطمأنينة مرة والعدائية مرة أخرى " **كانت بيانكا أول من علم بقرار بقائه في الشركة . قال لها ذلك أثناء تجوالهما في المقبرة الجرداء المنبسطة بقبورها الدارسة المتواضعة ترجم لها ما نقش على الشواهد من آيات وأسماء وتواريخ يحوم فوقها قبول مطمئن بحتمية الموت وبعده عن الغرابة . قالت بيانكا بما يشبه الهمس ...**

– القبور صغيرة متواضعة .

– خير القبور الدوارس . هذا حديث نبوي يعرفه المسلمون ويحرصون على اتباعه .

في مقابرنا حرص شبيه . ولكن بعض الناس ممن يموت أعزاؤهم موتًا عنيفًا أو ظلمًا يقيمون شواهد رخامية عالية غالبًا ما ترتبط هذه بدراما سوداء " (رحيم،٢٠٢٠،ص ١٠٦ –١٠٧) .

جسد الكاتب الفناء بوساطة القبور وأشار إليها كونها تدل إلى انتهاء الحياة للناس، وأشار إلى نوعين منها إذ خص بالذكر أولًا ما يخص المسلمين كونها توضع بشكل بسيط تخلو من التكلف والمبالغة إذ تتجرد من كل أشكال التباهي مع علامة تدل على اسم الشخص الميت مصحوبة بآيات من القرآن الكريم، فتكون متواضعة تحمل بداخلها جسد شخص ويشكل هذا المكان الموضع الأخير له في هذا العالم فيدفن فيه بسلام وصمت، ثم انتقل للحديث عن قبور مختلفة عما سبقها تروي فاجعة المنية بطريقة مغايرة فلم تكن مجرد حفرة في الأرض ؛ كونها تحمل بداخلها موتى ليسوا عادين بل موتى تعرضوا

للظلم والعنف فيكون شكل القبر عالٍ يتسم بالحزن دلالة على ما مروا به في حياتهم .

الاماكن المفتوحة:-

تتسم هذه الاماكن بالانفتاح من جهة واحدة أو أكثر" (الحربي، ١٤٢٣ه – ٢٠٠٣ م، ص ١٣٦) و يتردد عليه الفرد في أي وقت يشاء من دون قيد أو شرط، مع عدم الإخلال بالعرف الاجتماعي" (حسين، ص ٨٠) . وتشكل هذه الاماكن " مسرحًا لحركة الشخصيات وتنقلاتها، وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن اقامتها الثابتة، مثل الشوارع والاحياء والمحطات وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي " (بحراوي، ص ٤٠) .

كما تكشف هذه الامكنة عن العلاقات الانسانية الاجتماعية فضلًا عن التحولات الاجتماعي الحاصلة في المجتمع ومدى تأثيرها على الامكنة فتأتي بعضها حاملة صفة السكينة والرحمة واخرى حاملة صفة الدمار والموت (عبيدي، ٢٠١١ م، ص ٩٥) .

يتحدث سليم عن الطبيعة المحيطة به في ساحة الحرب" **أن الطبيعة حولنا ليست قبيحة، بل أستطيع أن أجازف فأقر أنها جميلة لمن يزورها سائحًا لا فأرًا محاربًا ... ومن المناظر الجميلة حقًا أن يقترب أحد الجنود في الوادي المقابل لموضعنا فلا أرى سوى رأسه يقترب بين هذه النباتات المتراقصة ... لكنك في المحصلة النهائية تكره كل ذلك ولا تجد له طعمًا لأن جمال الطبيعة يتربص بك ويضمر لك الموت** " (رحيم، ص ١٩١) .

خرج الروائي هنا من الحالة النمطية الثابتة في وصفه للطبيعة إذ ظهرت اليفة في بدء الأمر ومن ثم معادية، فنلاحظ أنه حدد بدقة مواطن الجمال فظهرت محببة ومريحة لسليم، فضلًا عن أنه عزز من سلطة المكان هنا وجعاه قادر على استيعاب حياة جميلة يملؤها السلام والامان، بعد ذلك انتقل للحديث عن الجانب الاخر من هذه الطبيعة وهي تخبئ الموت له في طيات جمالها فتولد لديه شعور بالضيق والعداء لديه، فالكاتب لا يعبر عن المكان لذاته بل يعبر عن الشعور الداخلي للشخصية تجاه المكان .

ينتقل الكاتب ليصور جمال بولندا بوساطة احدى شخوص الرواية وهي بيانكا " **هذا الموسم هو أجمل المواسم هناك، الألوان والوهج والروائح العذبة والغابات تغني مع طيورها . الصيف في بارك واشتكي في شارع الملوك في قلب وارشو هو موسم عزف مقطوعات من بيانو شوبان على جمهور يحتشد في الحديقة مع طوفان الزهور ... ثم هنالك قوس قزح البولندي بألوانه العجيبة** " (رحيم، ص ٢٠٢ – ٢٠٣) .

يبن الروائي آلية التفاعل بين المكان والشخصية، إذ ترك هذا البلد طابع ايجابي على الشخصية، يصف الكاتب عبر عيني بيانكا المناظر الخلابة وروعتها بالانفتاح وباعثًا على الراحة، وأن الشعور الداخلي هو ما يمنح هذا العنصر دلالته إذ جاء غنيًا مفعمًا بالحيوية، فتعد بذلك بولندا من الاماكن الاليفة والمفتوحة لدى بيانكا نتيجة لما خلفه هذا العنصر من سلوكيات تشعرها بالطمأنينة والسعادة .

" **حين لاحت على مشارف البياع منائر جامع ام الطبول الشاهقة المتألقة بأنوارها السماوية المتراقصة في وجه الظلام الزاحف من أطراف الكون، أيقن أن**

الإجازة حقيقية وأنه يتنفس بالفعل هواء بغداد المنعش من جديد ... علّق حقيبته الثقيلة على كتفه وانطلق بعزيمة نحو باب الدار حيث سيغسل عنه في البيت استثنائية الموضع ويستريح ... الحرب تحوّل رتابة الحياة المدنية إلى أسطورة باهرة ... نعيماً بأشهى أنواع المسرات " (رحيم، ص ٣٠٦) . عين الكاتب هنا شمولية أذ اعطت للفضاء المفتوح اكثر من بعد إذ وصف سليم اولًا الجامع الذي يمثل الحياة الروحية للفرد فهو مكان للعبادة ومخصص للتضرع للخالق ونسيان هموم الدنيا ومن ثم انتقل للحديث عن بغداد التي جاءت متسعة الحدود وقريبة من النفس وتتصف بالألفة، وتطرق للكلام عن بيته الذي يعد من الاماكن الاعتيادية قبل الحرب في عينه لكن بعدها اختلفت الامور تمامًا فالدمار الذي تعرض له سليم جعلته ينظر إلى ما حوله بشكل جديد ومميز لم يسبق له اذ شعر بهذه الاحاسيس من قبل .

يبين لنا سليم في النص الآتي بغداد كونها من الاماكن الواسعة الجميلة التي لم تشوها الحرب " **أضواء أعمدة الكهرباء والمحلات الملونة والسيارات تتهدى على الجانبين وسط زحام المدينة تجعل بغداد أسطورة مكتملة مكتفية بمنطقها الخاص لم تمسها الحرب بأي سوء . تبقى مراكز المدن منذ بداية الحرب منشغلة بكرنفال حياتها اليومية الأبدي مهما تعذب أبناؤها على الحدود وماتوا، وهي بسبب انشغالها هذا تبالغ في احتفائها بالقادم من بؤس الأطراف وتعتذر منه** " (رحيم، ص ٣٠٥) .

ركز الكاتب على بغداد في اكثر من موضع دلالة على خصوصيتها في الواقع بالنسبة له، وانعكس ذلك عليه، وجاء ذكرها على طول السرد لم تظهر دفعة واحدة ولا بشكل عرضي بل كانت هدفًا في الرواية ليكشف لنا عن التقارب النفسي بين الشخصية والمكان، فالوصف الذي يضيفه جعل منها ببؤرة جاذبة للناس ورمزًا للسعادة، لذا جاءت وجهة نظره تعبيرًا صادقًا عن مدينته التي لها جمالية خاصة عنده، ألا إنه في نهاية النص يعتب عليها فيشعر بالحسرة وخيبة الأمل كونها تبالغ في فرحها على حساب ارواح ابناؤها .

الخاتمة:

الحمد لله الذي تتم الصالحات بحمده وصلى على نبيه محمد واله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن ثنائية المكان بجميع أشكاله الاليف والمعادي والمغلق والمفتوح في رواية صوت الطبول من بعيد لفلاح رحيم، " التي بنى سردها على التحقيب والتسجيل" (هناوي، ٢٠٢١ / ٢١) . فجاءت واقعية لم يشعر القارئ بغربة المكان، كونها تخلو من الاماكن الخيالية، فعبر بذلك الروائي عن افكاره التي يريد ايصالها للمتلقي التي جسدت مرحلة من مراحل الحرب التي مر بها العراق مع الجانب الايراني والتي استمرت ثمان سنوات، فصور الروائي كل التفصيلات المحيطة بالمكان كالواسع والاليف، فضلًا عن الضيق والمعادي و وصف طريقة العيش في الخنادق فظهرت حافل بالقسوة والوحشية والعنف والضيق فحملت الرواية دلالة سلبية شكلت بذلك علامة للظلم، كونه وصف الشخصية والمكان معًا وليس بمعزل عن الشخصية التي اصابها الخراب بفعل دمار الحرب، فالمكان لا يكسب اهميته الا بفعل ارتباط الشخصية به . التي حملت الانكسارات والخيبات

والهزائم هذه المشاعر السلبية حملتها الشخصية على طول السرد .

المصادر:

١) د . هنادي هناوي، صحيفة الشرق الاوسط، ٢٠٢١ / ٢١ سبتمبر / aawsat . com .

٢) ساهرة عليوي حسن العامري، المكان في شعر ابن زيدون، رسالة ماجستير، بإشراف: هناء جواد عبد السادة، جامعة بابل، كلية التربية، ١٤٢٩ ه – ٢٠٠٨ م .

٣) فلاح رحيم، صوت الطبول من بعيد، بيروت _ لبنان، ط١، ٢٠٢٠ .

٤) احمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠١٢ م – ١٤٣٣ ه.

٥) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الدار البيضاء، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠ .

٦) فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية، دراسة في ثلاث روايات الجذوة – الحصار – أغنية الماء والنار، فراديس للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٣ م .

٧) كلثوم مدقن، دلالة المكان في موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد الرابع، مايو، ٢٠٠٥.

٨) محمد بوعزة، تحليل النص السردي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط ١، ١٤٣١ ه – ٢٠١٠ .

٩) ابراهيم الجنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا ابراهيم جبرا، تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ٢٠١٣.

١٠) بطرس الحلاق، وروبن أوستل وشتيفن فيلد، شعرية المكان في الأدب العربي الحديث، تر: نهى أبو سديرة وعماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠١٤ .

١١) حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، الناشر المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، آب ١٩٩١ .

١٢) مصطفى الضبع، استراتيجية المكان، دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨.

١٣) رحيم علي جمعة الحربي، المكان ودلالته في الرواية العراقية، اطروحة دكتوراه، بإشراف: جميل نصيف التكريتي، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٤٢٣ه – ٢٠٠٣ م .

١٤) نبهان حسون السعدون، المكان في قصص علي الفهادي، دراسة تحليلية، مجلة دراسات موصلية، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العدد ١٩، ٢٠١٠ .

١٥) مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثيات جنا مينه (حكاية بحار – الدقل – المرفأ البعيد)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١ م .

Sources

1.Dr. Hani Hani, Asharq Al-Awsat Newspaper, September 21, 2021 / aawsat.com1.

2. Sahira Alawi Hassan Al-Amiri, Place in the Poetry of Ibn Zaydoun, Master's Thesis, supervised by: Hanaa Jawad Abd Al-Sada, University of Babylon, College of Education, 1429 AH – 2008 AD.

Falah Rahim, A Voice Longer Than Distance, Beirut – Lebanon, 1st ed., 20203.

4. Ahmed Jassim Al-Khafaji, Narrative Terminology in Modern Arabic Literary Criticism, Dar Safaa for Publishing and Distribution, Amman, 1st ed., 2012 – 1433 AH.

5. Hassan Bahrawi, The Structure of the Narrative Form, Casablanca, Arab Cultural Center Publishers, Beirut, 1st ed., 1990.

6. Fahd Hussein, Place in the Bahraini Novel: A Study of Three Novels (Al-Jathwa – Al-Hisar – The Song of Water and Fire), Firas Publishing and Distribution, 1st ed., 2003.

7. Kloum Medkour, The Significance of Place in "Season of Migration to the North" by Tayeb Salih, Journal of Arts and Languages, University of Ouargla, Algeria, Issue 4, May 2005.

8. Mohammed Bouazza, Analysis of the Narrative Text, Arab House of Sciences, Beirut, 1st ed., 1431 AH – 2010 AD.

9. Ibrahim Al-Jandari, Narrative Space in the Literature of Jabra Ibrahim Jabra, Tamouz Printing and Publishing, Damascus, 1st ed., 2013.

10. Butrus Al-Hallaq, Younis Wolf and Stephen Fleid, The Poetics of Place in Modern Arabic Literature, translated by: Wafaa Abdel Latif and Imad Abdel Latif, National Center for Translation, Cairo, 1st ed., 2014.

11. Hamid Al-Hamdani, The Structure of the Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism, Arab Cultural Center for Printing and Publishing, 1st ed., 1991.

12. Mustafa Al-Dabigh, The Strategy of Place: A Study in the Aesthetics of Place in Arabic Narrative, The Egyptian General Book Authority, 2018.

13. Rahim Jam'a Harb, Place and Its Significance in the Iraqi Novel, PhD Dissertation, supervised by: Jamil Naseef Al-Tikriti, University of Baghdad, College of Arts, 1423 AH – 2003 AD.

14. Nibras Hassoun Al-Saadoun, Place in the Stories of Ali Al-Fahdawi: An Analytical Study, Journal of Mosul Studies, College of Basic Education, University of Mosul, Issue 19, 2010.

15. Mahdi Obeid, The Aesthetics of Place in Three Women's Novels (The Tale of the Sea – The Burden – The Port Left Far Behind), Syrian General Book Authority, Damascus, 2011.